الأثر التركيبي في دلالة التقديم والتأخير ـ دراسة لاحاديث نبوية

اقبال سر الختم عبد الباقي*

المستخلص:

تتناول هذه الورقة جانباً من الأثر التركيبي في دلالة التقديم والتأخير لأحاديث نبوية. ويعد علم الدلالة من العلوم التـــي أخذت حيزاً من جهود العلماء لأهميته وللتقديم والتأخير علاقتة بالدلالة، وقد بلغ الحديث النبوي ذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير. وقد راعى الحديث جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة. لذا كان حديث النبـــي ﷺ استخدم التراكيب لدلالات لا يمكن لغيره من البشر أن يكسبها ذلك الأثر.

ABSTRACT

This paper delt with an aspect of the structural impact in a sign of submission and delay of sayings of the Prophet. The science of Semantics is one of sciences which takes space from the efforts of scientists because of its importance. Presentation and influence have a relationship to Semantics. Hadith has reached the peak of putting words in the situation that it deserves in the expression. Hadith takes into account all the modern places that received the word. Hadith of the Prophet, peace be upon him, used compositions for semantics, which other humans cannot earned it that impact.

الكلمات المفتاحية:

المسند – التنبيه – التعظيم

* كلية المختبرات الطبية- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة:

يعد علم الدلالة من العلوم التي أخذت حيزاً واسعاً من جهود علمائنا– وذلك لأهميتة وأثره الكبير في دراسة اللغة والأدب والمعنى. ظهر هذا العلم ليصبح بديلاً أو مشاركاً لعلم المعنى ، لا يقتصر على دراسة المفردات بل تعداها إلى دراسة التراكيب وما يتعلق بها.

وقد شارك الفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة واللغويون والمفسرون والنحويون والبلاغيون والأصوليون في إعطاء هذا العلم أهميته الكبيرة، ويعد الجانب الديني من أهم جوانب الدرس الدلالي عند علماء العربية الذين عملوا على تفسير القرآن الكريم وبيان غريبه ، ومن أهمها، مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ومعاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش وغيرها.

تطورت جهود المفسرين لتضفي على آيات القرآن الكريم بعداً دلالياً آخر وهو الدلالة السياقية اعتماداً على لغة النص القرآني، وهناك كتب لغوية عالجت القضايا الدلالية كالمعاجم ، وكتب الأضداد والاشتراك والاشتقاق وغيرها...

أما دلالة التراكيب فدرسها البلاغيون دراسة جمالية واعية، كانت قد تبلورت عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وقد اوضح أن دلالة الألفاظ لا تظهر إلا من خلال التراكيب بقوله: (فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لاسبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة)[١]

وهذا يقودنا إلى أهمية التراكيب والسياق والعلائق اللغوية في إعطاء المعنى بعداً دلالياً ، وتقديم الصورة الأصل. ويؤكد البلاغيون أن ذكر الكلمة وحدها منفردة لاقيمة لها خارج السياق . وإن أهم من ذلك هو التركيب داخل السياق، وقد عبر الرازي عن ذلك بقوله " واعلم أن الالفاظ لا تستعمل لافادتها مدلولاتها المعنوية إلا عند التركيب ، بل الحق أن الغرض الأصلى من وضع المفردات مع ما يتركب منها" [٢]

عبر البلاغيون القدماء عن فكرة السياق الماثلة في أذهانهم بعبارات مختلفة كمراعاة المقام ، أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال وإخرج الكلام لا على مقتضى الظاهر، ومنها جاءت عباراتهم الشهيرة (لكل مقام مقال) أي لكل موقف مفرداته المعبرة عن دلالته ومعناه.

ومن هنا فإن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ومراعاة مقتضى الحال، (المقام) أدى ذلك إلى نشوء ظاهرة (العدول اللغوي)، أو ما يعرف بالانزياح في التركيب، وهي ظاهرة تضفي على التركيب وجهاً دلالياً جمالياً، فتشكل بدورها ركيزة مهمة من ركائز الدراسات الأسلوبية المعاصرة.

فكرة المقام والمقال وهي الحجر الأساسي لفهم معنى التركيب ، قال د. تمام حسان : لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمة ألف سنة تقريباً على زمانهم.[٣]

عناية العلماء بالتقديم والتأخير:

كلّ جملة لها تركيبها الخاص فالفعلية يتقدم فيها الفعل على الفاعل والفاعل على المفعول، والاسمية يتقدم فيها المبتدأ على الخبر، ولا يتقدم

(١) الجرجاني، أبي بكر (٢٠٠٤م) دلائل الاعجاز، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، ط٥ ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٣٥.

(٢) الرازي، فخر الدين(١٩٨٥م) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، تحقيق ودراسة : بكري الشيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ص ١٤٧-١٤٩.

(٣) تمام حسان(١٩٩٥م) اللغة العربية معناه ومبناه، مكتبة الثقافة، الدر البيضاء، ص٣٣٧.

الخبر على المبتدأ والفاعل على الفعل، والمفعول على الفاعل إلا في أحوال يقتضيها التعبير البلاغي وقد قرر علماء العربية أن المهم يقدّم. قال سيبويه: (كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم)[٤] ، وهذا يعني أن تقديم ما حقه التأخير أو تأخير ما رتبته التقديم ليس أمراً اعتباطياً وإنما له أغراض ومعانٍ التزم بها التركيب ثم أصبحت قواعد مقررة لا يحس بها إلا إذا خولفت [٥] إن التقديم والتأخير (تركيب سياقي وائتلاف دلالي يقصده المتكلم ويعنيه) [٦] فمن سنن العرب تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم[٧]

وقد تناول البلاغيون موضوع التقديم والتأخير وعزوا تقديم المسند إليه على المسند أو العكس إلى أمور منها: التمكن في ذهن السامع، والتعجيل بالمسرة أو المساءة والاستلذاذ وغيره [٨]، ويرى د. إبراهيم أنيس، وتابعه د. نعمة رحيم العزاوي، أن دراستهم هذه أدخلت في باب النقد الأدبي منها في باب الدرس اللغوي[٩]؛ لأنهم اتخذوا الذوق أساساً في الحكم على النصوص اللغوية لاسيما النص الإلهي الخالد الذي بهر الفصحاء والبلغاء بسحر التعبير وجمال النظم فراح البلاغيون يفتشون عن دلائل نظمه وأسرار إعجازه مسخرين كل المعايير والمقاييس لتذوق هذا النص الكريم واستيعاب مضامينه.

يحتل التقديم والتأخير مكانة متميزة في سلم العناية لدى الغويين والبلاغيين وتبرز أهميته بكونه بؤرة أساسية في معرفة أحوال اللفظ و (إذا كان للجملة في العربية نظام مثالي في ترتيبها فإنّ هذا النظام ليس مقدساً لا يجوز المساس به فثمة تغيرات تطرأ على طريقة الترتيب بحيث يقدم عنصر أو يؤخر آخر والتقديم والتأخير في الجملة العربية من المباحث المهمة التي حظيت بعناية كبيرة من قبل النحاة والبلاغيين، وإن غلب الذوق الجمالي القائم على التحليل اللغوي على تحليلات البلاغيين لها) [١٠].

وقد تنبه شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية التقديم والتأخير فقال عنه (باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه)[١١]

ومن البلاغيين الذين أطالوا القول في التقديم والتأخير وأولوه اهتمامهم وعنايتهم ابن الأثير [١٢] والزركشي والسيوطي[١٣]

وضع علماؤنا المحدثون عدة تعريفات لأسلوب التقديم والتأخير منها (تقديم جزء من الكلام بمقتضى البلاغة حقه أن يتأخر في الترتيب بمقتضى الأصل العام في القواعد)[١٤] وهو أيضاً

---

(٤) سيبويه(١٩٩٦م) الكتاب، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون ، ط٦، ج١، عالم الكتب، بيروت، ص٣٤.

(٥) الجواري، أحمد عبد الستار(د.ت) نحو المعاني، مصطفى قانصوه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص٢٦.

(٦) العوادي، مشكور(٢٠٠٣م) البحث الدلالي في تفسير الميزان، مؤسسة البلاغ، بيروت، ص٢٢٩.

(٧) ابن فارس، أحمد (١٩٩٣م) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، حققه وضبط نصوصه: مكتبة المعارف، بيروت، ص ١٨٩.

(٨) الخطيب القز ويني(د.ت) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق أساتذة الازهر، ج١، ص٥٢-٥٣.

(٩) أنيس، إبراهيم(١٩٧٥م) من أسرار اللغة، ط٥، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ص٢٥٩، نعمة رحيم العزاوي، الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، مجلة المورد، مج ١٠، ص ١١٧.

(١٠) بيير جيرو(١٩٨٥م) الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة، تحقيق: منذر عياشي، د.ن، ص٢٠٥ .

(١١) الجرجاني، دلائل الاعجاز، مرجع سابق، ص١٠٦ .

(١٢) ابن الأثير، ضياء الدين(د.ت) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : أحمد الحوفي- بدوي طبانة ، ج٢، ص٢٠٦-، و الشيباني، محمد بن الحسني(١٩٣٩م) الجامع الكبير ، حيدر آباد، ص ١٠٩.

(١٣) الزركشي، بدر الدين(د.ت) البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ج٣، دار التراث، ص٢٣٣.

(١٤) مطلوب، أحمد(١٩٨٧م) بحوث بلاغية، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ص ٤١.

(تغيير لبنية التراكيب الأساسية أو هو عدول عن الأصل يكسبها حرية ودقة ولكن هذه الحرية غير مطلقة)[١٥] .

ونرى أنه من الالفاظ ما يتقدم أو يتأخر إلا لغرض ومقصد معين فلكل لفظ مكانه اللائق ولو أجري تبديل على أمكنتها لأختل النظام ولما عاد له ذلك السبق والرونق الذي كان عليه من قبل[١٦].

إن للتقديم والتأخير فناً رفيعاً (يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواضع الكلام وليس ادعاءً يدعى أو كلمةً تقال)[١٧].

قد بلغ الحديث النبوي في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب ولم يكتفِ بل وضع اللفظة بمراعات السياق الذي وردت فيه، و راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة ، فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة .

إن التقديم والتأخير يعد مخالفةً للترتيب المألوف في الجملة لتحقيق غرض من الأغراض فإن مجرد (المخالفة ينبئ عن غرض ما وذلك الغرض هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع اليها وتلك مسألة اسلوب يمكن تتبعها إلى أقصى وقائعها) [١٨] فالتقديم والتأخير يعتمد الخلخلة التركيبية للتأليف القواعدي داخل الجملة فأصبح واحداً من أنضج روى العدول في الدرس الدلالي العربي من حيث التعامل مع الصورة المستخدمة للتركيب دونما تدخل بإضافةٍ أوحذفٍ أو تأويلٍ أو تقديرٍ ومن المظاهر التي تعكس تفهم القارئ لإبداعية النص[١٩]، وهو سبب الشعرية وهو معيار التفريق بين لغة الشعر ولغة النثر .

يتبين مما سبق أن التقديم والتأخير يعمل على خرق نظام الجملة وترتيبها المعتاد وعلى ضوء ذلك وجدنا كثيراً من الدراسات القديمة والحديثة قد حصرت أهميته ووظيفته في (الاختصاص والحصر)،(التقديم والاثر الصوتي) و(التقديم للاهتمام).

وقد درس الباحثون موضوع التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف بنوعيه ؛ الأول الذي يختص بدلالة الألفاظ على المعاني . والثاني: الذي يختص بالمعنى وهو ما أطلق عليه ابن الاثير (الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر)[٢٠] والزركشي (ما قُدمَ والمعنى عليه) [٢١]. وسوف نطوف في هذه الورقة لمعرفة دلالة الألفاظ على المعاني في أسلوبه ﷺ.

التقديم والتأخير الذي يختص بدلالة الألفاظ على المعاني :

وهو لا يخرج عن كونه ضرباً من الاتساع[٢٢] القائم على الاستخدام الفني للرتب النحوية، من خلال تحريك المنشئ الألفاظ من أماكنها الأصيلة إلى أماكن أخرى، أوتثبيته أحد الألفاظ في مكانه الأصيل، وإعطائه حتمية يمتنع معها نقله أو تحريكهُ[٢٣]

---

(١٥) كمال عز الدين (١٩٨٤م) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ط١، أقرا، ص١٣٤ .

(١٦) قتيبي، حامد صادق (١٩٨٤م) الشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، ط١، مكتبة المنار، الأردن ، الزرقاء ، ص ٤٢٩.

(١٧) السامرائي، فاضل صالح(د.ت) التعبير القرآني، دار الكتب للطباعة والنشر، ص٥١

(١٨) فندريس، جوزيف(١٩٥٠م) اللغة، تعريب :عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٨٨ .

(١٩) جميلي، عدنان جاسم(٢٠٠٩م) ، الآيات المتعلقة بالرسول (ﷺ) مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق، ص١٤٨.

(٢٠) ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ص ٢١٧ .

(٢١) الزركشي، البرهان ، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(٢٢) السامرائي، فاضل صالح(د.ت) الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، منشورات المجمع العلمي العراقي، ص٣٦ .

(٢٣) محمد عبد المطلب(١٩٨٤م) البلاغة والأسلوبية ، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ص٣٣٣.

قبل الشروع في رصد مطلوبات هذا المبحث نود أن نعرج على المسند إليه والمسند والإسناد في الجملة العربية لأنهما ركنان أساسيان في الجملة العربية، لا يستقيم المعنى إلا بهما والمسند إليه هو المحكوم عليه أو المخبر عنه فلا يستقيم المعنى بدونه والمسند هو المخبر به أو المحكوم به [٢٤]

هذا وإن أول من أشار إلى عملية الاسناد سيبويه الذي قال عن المسند والمسند إليه :

(هما مما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بداً فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه)[٢٥] ويرى الجرجاني إن الإسناد يحقق فائدة لا تحصل بالكلمة بل في الجملة:

(والذي ينبغي أن يذكر الآن هو الكلمة في الحقيقة والمجاز إلا أنك تحتاج أن تعرف في صدر القول عليها ومقدمته أصلاً وهو المعنى الذي من أجلهِ اختصت الفائدة بالجملة ولم تكن حصولها بالكلمة الواحدة كالاسم الواحد والفعل من غير اسم يضم إليه)[٢٦] ، ولذلك عرفوا الجملة فقالوا : (هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أوالكلام الموضوع للفهم والإفهام)[٢٧] وأخذ قسم من علماء البلاغة هذين المصطلحين وبنوا عليهما دراساتهم في علم المعاني.[٢٨]

إن علماء البلاغة لم يعنوا بالتقديم والتأخير إلا من خلال الجملة والعملية الإسنادية (المسند والمسند اليه) وأي شئ خارج نطاق هذه العملية فهو مهمل إلى أن ظهر المفسرون الذين أظهروا اهتماماً بتقديم متعلقات الفعل: وهو كل شئ زائد على ركني الجملة – المسند والمسند اليه – وقد وجدت هذه الزيادة لفائدة إضافية في الجملة ومن البلاغيين الذين أفاضوا في ذكر متعلقات الفعل المبرد [٢٩] وابن جني [٣٠] والجرجاني[٣١] والسكاكي [٣٢] والقزويني[٣٣]

ولم يذكر القدماء تعريفاً محدداً لمتعلقات الفعل كما نجده عند المحدثين الذين قالوا عن المتعلقات إنها: (هي ماعدا المسند إليه والمسند في الجملة مما يزيد على ذلك فهو قيد في الجملة كأدوات الشرط والنفي والنواسخ والمفعولات والحال والتمييز والتوابع)[٣٤]

ومن المعروف أن الفعل مسند، ومتعلقات الفعل هي متعلقات المسند نفسها لذلك عدَّ بعض البلاغيين موضوعات متعلقات الفعل ماهي الإ فرع من مباحث المسند[٣٥]

وأوجد الباحثون المحدثون أسباباً لتقديم متعلقات الفعل وهذه الأسباب [٣٦]هي:

١. رد الخطأ في التعيين كقولك (محمداً كلمت) رداً على من اعتقد أنك كلمت إنساناً غير محمد.
٢. إن التقديم هو الأصل كما يحدث بين معمولات الفعل بعضها على بعض كتقديم الفاعل على المفعول.
٣. ذكره أهم والعناية به ألم .

---

(٢٤) السيوطي، جلال الدين(١٣٥٩هـ) الأشباه والنظائر في النحو،ج١، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد، ص١٠.

(٢٥) سيبويه، الكتاب، مرجع سابق، ص٢٣.

(٢٦) أنيس، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(٢٧) طحان، ريمون(١٩٧٢م) الالسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، ص ٤٤.

(٢٨) أحمد مطلوب (١٩٦٧م) القزويني وشروح التلخيص، ط١، مكتبة النهضة ، بغداد، ص٢٩٥، أحمد مطلوب(١٩٨٠م) أساليب بلاغية، دار الغريب للطباعة والنشر، ص١٣٣ .

(٢٩) المبرد، أبي العباس(د.ت) المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق ضيمة، ج٣، عالم الكتب، بيروت، ص٣٠٠.

(٣٠) ابن جني، الخصائص(د.ت) حققه: محمد علي النجار، ط٢، ج٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص٣٨٤.

(٣١) الجرجاني، دلائل الاعجاز، مرجع سابق، ص٣٤٥ .

(٣٢) السكاكي(١٩٨٧م) مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص٤٤٥.

(٣٣) الخطيب القزويني، الايضاح، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٣٤) المبرد، المقتضب، ج٣، مرجع سابق، ص٣٠٠ .

(٣٥) ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص٣٨٤ .

(٣٦) محمد أبو موسى(١٩٥٢م) خصائص التراكيب، ط٢، دار التضامن ، القاهرة ، ص٢٥٣ ، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص ٦٨.

٤. إن التأخير يوهم غير المعنى المراد.

نجد الحديث النبوي الشريف مليئاً بمظاهر التقديم بمتعلقات الفعل، ولما عدها البلاغيون فرع من مباحث المسند، آثرنا تتبع التقديم الذي يختص بدلالة الألفاظ على المعانى، وإضافة الفائدة أو الغرض البلاغي المتوخي من هذا التقديم والتأخير والذي يقودنا إلى دلالة اللفظ المتقدم وذلك من خلال الحديث الشريف.

مظاهر التقديم والتأخير في الحديث الشريف:

أولاً : تقديمه (ﷺ) للمسند إليه وأغراضه:

أ- تقديم المسند إليه في الجملة الإسمية :

عرفنا أن الجملة العربية تتكون من المسند والمسند إليه وهما الأصلان في تكوينها فتقديم أحدهما يعني لزاما تأخير الآخر، إذ ليس باستطاعة المتكلم أن ينطق بهما دفعة واحدة، وإذ كان المسند إليه يتقدم في الجملة الاسمية أو ماجاء على الأصل فإن البلاغة تبحث عن سر هذا التقديم ويمكن أن نجمل دواعي تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية إلى:

١. (إن تقديمه هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، لكونه محكوماً عليه، أو مخبراً عنه فيأتي مقدماً في الذهن)[٣٧]

٢. وقد يكون تقديم المسند إليه سبباً إلى معرفة المسند المتأخر :

– لأنه يتصف بصفة غريبة تجعل النفس تشوق إلى ذكر المتأخر من ذلك الحديث (الذي تفوته صلاة العصر كأنما هو وتر أهله وماله)[٣٨] ، فتقديم المسند إليه المبتدأ يحدث تشويق لمعرفة الخبر الذي يحذر فواتها، وكذلك قوله ﷺ:(أفضل الصلاة طول القنوت)[٣٩] فتثبيت المبتدأ في مكانه أدى إلى إشاعة جو من التشويق للخبر وكان لمجيئ المبتدأ بصيغة اسم التفضيل أكبر الأثر في تكثيف جو التشويق.

– ومنه أيضاً : التمهيد للخبر المستغرب أو غير المتوقع : وذلك بقوله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[٤٠].

– كون المسند إليه لايزول عن الخاطر: وكذلك بقوله ﷺ: (اللهُ أحقُ أن يستحيا منه من الناس)[٤١] فلفظ الجلالة (الله) لا يزول عن الخاطر بأي حال كان المؤمن.

– لتعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحاً للتفاؤل أو التطير وذلك بقوله ﷺ:(... لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٤٢] قدم اللعنة كي يعجل المساءة لليهود والنصارى فكأنه يريد التعجيل بإنزالها من الله عليهم.

– تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي إن ولي حرف نفي من ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي تمثل بقوله ﷺ (... ما أنا بالذي أمحاهُ، فمحاهُ رسول الله بيده وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام ولا يدخلوها)[٤٣]

– من دواعي تقديم المسند إليه التعظيم أو التنويه بمكانة المسند إليه مدحاً وثناءً : وذلك في قوله ﷺ :(الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن

([٣٧]) السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص ٣٣٨ ، سبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي(٢٠٠١م) عروس الافراح وسر تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، القزويني، شروح التلخيص، مرجع سابق، ص٣٨٩ .

([٣٨]) مسلم بن الحجاج(١٩٩٨م) صحيح مسلم، ط١، حديث رقم ٦٢٦، دار الافكار الدولية، الرياض ، رملة رشيد إسماعيل(٢٠٠٣م) التقديم والتأخير في صحيح البخاري (دراسة بلاغية) ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ص ٢٥.

([٣٩]) صحيح مسلم، مرجع سابق، ص ٥٢٠، العيني، أبو محمد محمود(د.ت) عمدة القاري شرح صحيح البخاري،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٢٣٥ .

([٤٠]) صحيح مسلم، مرجع سابق، ص٢٢٧٢، وينظر: الحديث النبوي الجاري مجرى المثل : ١٠٠

([٤١]) المرجع السابق، ص ٧٨ .

([٤٢]) البخاري، محمد بن اسماعيل (د.ت) صحيح البخاري، ج٤، د.ن، ص ٧٨ .

([٤٣]) الراوي: البراء بن عازب ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، حديث رقم: ١٧٨٣، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٤١.

يعقوب)[٤٤] فـ(الكريم) هو المسند إليه مقدم لغرض المدح وتنويهاً بفضله ومنه قوله ﷺ: (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله)[٤٥].احتفظ المبتدأ (الرحم) بمكانهِ مع جواز تأخيرهُ [٤٦] تعظيماً للرحم وتنويهاً بمكانتها .

- يأتي المسند إليه مقدماً لغرض الحط من الشأن والتحقير : وتمثل في قوله ﷺ: (بينما رجل يمشي في خلةٍ تعجبه نفسه، مر رجل إذ خسف الله به فهو يتجلجل حتى تقوم الساعة)[٤٧] هذا الرجل تعجبه نفسه وهو يمشي بخيلاء، فالنبي في هذا الحديث والله أعلم ورسوله يحاول تحقيره والحط من شأنه ولزيادة التحقير جعله نكرة.
- التحذير: يقدم المسند إليه للتحذير منه أو من عواقبه؛ وتمثل بقوله ﷺ: (التثاؤب من الشيطان)[٤٨].
- التقريع والاحتجاج والإنكار: وتمثل عن النبي الكريمﷺ : (إستأذن عمر على رسول الله وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهنَ فلما استأذن عمر قمنَ يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله ورسول الله يضحك فقال عمر: اضحك الله سنك يا رسول الله قال ﷺ: عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنَ عندي فلما سمعنَ صوتكَ ابتدرنَ الحجاب قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبنَ ثم قال: أي عدوات أنفسهنَ اتهبنني ولا تهبنَ رسول الله قلنَ: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله قال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده! ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك"[٤٩] فالنساء احتجبن على عمر وانكرن عليه غلظتهُ في معاملتهنَ نسبةً مع معاملة رسول الله اللينة الحسنة، فكأنهنَ بتقديم المبتدأ (انتَ) يحاولنَ تعنيفهُ على شِدة معاملته لهن وغلظته.
- التفاضل والتفاخر: يتقدم المسند إليه المبتدأ على الخبر لغرض التفاضل والتفاخر وتمثل عن النبي ﷺ؛ أنه " قال – يعني الله تبارك وتعالى– لا ينبغي لعبد لي (وقال ابن المثنى : لعبدي) أن يقول : أنا خير من يونس بن متى ، عليه السلام " [٥٠] يقدم المبتدأ للاحتجاج والاعتراض على أمر ما كما في الحديث النبوي جاء على لسان نبينا الكريم: (.... نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً)[٥١] فقدم المبتدأ نحن للاعتراض والاحتجاج على العطاء .
- يقدم المبتدأ لغرض التوبيخ الممزوج بالتعجب : في قوله ﷺ: (أنت الذي تقول : والله لأ صومن النهار ولأ قومن من الليل ماعشت ؟!)[٥٢].
- يتقدم المبتدأ على الخبر للدعاء: منه تقديم السلام في الحديث النبوي، جاء على لسان نبي الرحمة خلق الله عز وجل آدم على صورته . طوله ستون ذراعا . فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر . وهم نفر من الملائكة جلوس . فاستمع ما يجيبونك . فإنها تحيتك وتحية ذريتك . قال فذهب فقال : السلام عليكم . فقالوا: السلام

---

(٤٤) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤، ص ١٨١ .

(٤٥) صحيح مسلم، مرجع سابق : ٤، ص ١٩٨١ .

(٤٦) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن(١٩٨٠م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ص٢١٨.

(٤٧) الراوي: أبو هريرة – المصدر: صحيح مسلم ، مرجع سابق، حديث رقم: ٢٠٨٨ ، صحيح البخاري، مرجع سابق،ج٤، ص٧١٢.

(٤٨) صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ١٥٢ .

(٤٩) الراوي: سعد بن أبي وقاص ، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ٢٣٩٦ ، صحيح البخاري، مرجع سابق، ص١٥٣.

(٥٠) الراوي: أبو هريرة، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ٢٣٧٦، صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٥١) البخاري، محمد بن اسماعيل (د.ت) صحيح البخاري، ج٤، د.ن، ص ٢٠٧

(٥٢) الراوي: عبدالله بن عمرو بن العاص، صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ١١٥٩، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤، ص ١٩٥.

عليك ورحمة الله . قال فزادوه : ورحمة الله . قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم . وطوله ستون ذراعا . فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن.)[٥٣].

– التخصيص: وهو ما سماه السكاكي (زيادة في التخصيص)[٥٤] وتمثل في قوله (ﷺ):

(...ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون)[٥٥].

ب- تقديم المسند إليه في الخبر الفعلي المثبت:

إن تقديم المسند إليه على خبره الفعلي المثبت له أغراض معينة بيّنها الجرجاني بشكل لم يسبق إليه أحد يقول: (أن يكون الفعل قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعل دون واحد آخر أو دون كل واحد ومثال ذلك أن تقول:(أنا كتبت في معنى فلان وأنا شفعت في بابه)[٥٦] فكلام الجرجاني ينبهنا على أننا إذا أردنا أن نجعل الفعل لفاعل واحد دون إشراك أحد في الفعل فأسهل الطرق إلى ذلك هو تقديم المسند إليه والمجئ بالخبر على الفعل المثبت فهو يقول: (لا تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبدادية وتزيل الاشتباه فيه وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك قد كتبت فيه كما كتبت)[٥٧].

وتمثل لهذا النوع من التقديم – تقديم المسند إليه على خبره الفعلي– للتخصيص في قوله ﷺ : (وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من اعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمناه، وليس إلينا من سريرته شئ، الله يحاسبه في سريرته)[٥٨] إن تقديم لفظ الجلالة الله المسند إليه على خبره الفعلي المثبت المسند لتخصيص الله بالمحاسبة لاغيره، فقدمه لنفي أي شك قد يساور غيره من الناس، فالله هو الخالق وهو الجدير بالمحاسبة. محاسبة عباده على أعمالهم.

وقد يأتي المسند إليه محاولة إثبات الفعل للشخص فيقدمه ليؤكد حصوله لنفسه والتقديم أحد طرق التوكيد والتأكيد بالتقديم (يكون بإخراج أحد عناصر الجملة من المكان المخصص له وتثبيته في غير مكانه، إذ من أراد أن يخص شيئاً باهتمام السامع أو القارئ قدمه وفاجأه به ليقع ذلك في نفس سامعه أو قارئه موقعا ثابتا)[٥٩]

هذا المعنى بقوله ﷺ : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد) [٦٠].

قدم النبي الكريم لفظ (أنا) المسند إليه وهذا التقديم غرضه التوكيد والتخصيص فالنبي الكريم يريد توكيد الأمر وهو أنه أقرب الناس إلى عيسى وأنه أولاهم به وزاد تأكيده أنه قال : (في الدنيا والآخرة) فكان التقديم للتوكيد ونفي الشك عن السامع . ويأتي تقديم المسند إليه على خبره الفعلي في الوعد والضمان لغرض التوكيد يقول الجرجاني : (إن من شأن من تعده وتضمن له أن يعترض الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو من أحوج شيء إلى التوكيد)[٦١]

---

(٥٣) الراوي: أبو هريرة – صحيح مسلم، مرجع سابق ، حديث رقم ٢٨٤١ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤، ص١٦٠ .

(٥٤) السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص١٣٧ .

(٥٥) الراوي: أبو هريرة – المصدر: صحيح مسلم ، مرجع سابق، حديث رقم:٦٣٢ ، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص ١٤٥ .

(٥٦) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ١٢٨ .

(٥٧) المرجع السابق، ص ١٢٨ .

(٥٨) صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١، ص٢٢١ .

(٥٩) طحان، الألسنية العربية، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٦٠) الراوي: أبو هريرة المصدر: صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث الرقم: ٢٣٦٥، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٠٣، رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيحه، مرجع سابق، ص٣٧ .

(٦١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ١٣٤ .

في قوله ﷺ : (قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم .. . [٦٢] قدم (أنا) المسند إليه لتأكيد الوعد والضمان.

وكذلك يقدم المسند إليه على خبره الفعلي في حال التعجب والاستغراب من أمر منسوب إلى شخص يستغرب نسبته إليه، فهو منفي عنه في أي حال من الأحوال ولا يمكن أن يقوم به ذلك الشخص فكأن الشخص يستبعد هذا الشئ وينفيه عن نفسه ومنه ما جاء في الحديث الشريف: (فقال سعيد أنا أنتقص من حقها شيئاً أشهد أني سمعت رسول الله يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين)[٦٣] فسعيد يستغرب إنه انتقص من حق هذه المرأة شيئاً وهو الملتزم بما أنزل الله من آيات القرآن الكريم وملتزم بأقوال وأحاديث النبي الكريم .

وقد يكون تقديم المسند إليه على خبره الفعلي لغرض بلاغي وهو الحذر والخوف على شخص ما، فإذا أراد أن يتكلم ويظهر خوفه على شخص فيقدم المسند إليه وذلك في قوله ﷺ : (إن فاطمة مني وأنا أتخوف أن تفتن في دينها بسبب الغيرة)[٦٤] ويقدم المسند إليه على خبره الفعلي في المدح، قال الجرجاني: (وكذلك يكثر في المدح كقولك أنت تعطي الجزيل...)[٦٥].

فأنت عندما تمدح شخصاً ما تقدم إسمه أو ما يدل عليه (وذلك أن من شأن المدح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويباعدهم من الشبهة)[٦٦].

وقد أشرنا إلى هذا المعنى بقوله ﷺ : (قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فَسُئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم،... فأوحى الله إليه إن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك)[٦٧] إن موسى عليه السلام في هذا الحديث يمدح نفسه وطريقة المدح بتقديم المسند إليه (أنا أعلم) فهو ينسب العلم إليه وأنه أعلم الناس فضلاً عن المدح المتحقق من تقديم هو أعلم مدحاً للعبد الصالح بما لديه من علم. ويقدم المسند إليه على خبره الفعلي لغرض الفخر ذكر ذلك الجرجاني في دلائل الإعجاز [٦٨] ان هذا الغرض متحقق في قوله (ﷺ):(أنا أفصح العرب غير إني من قريش)[٦٩]. وفي الحديث تركيب بلاغي متمثل في تأكيد المدح بما يشبه الذم حيث ذكر صفة فخر ومدح ثم ذكر أداة استثناء يليها صفة صفة مدح وفخر أخرى.

ج- تقديم المسند إليه في الخبر المنفي :

يُقدم المسند إليه على خبره المنفي لإعطاء معنى بلاغي جديد فأنت ترى اختلافاً في تأثير الكلام عليك إذا كان فيه تقديم مثل قولك أنت لا تكذب. فالكلام لنفي الكذب عنك فلا سبيل لأحد إلى الشك بك أو اتهامك بالكذب، اما إذا قلت لا تكذب أنت فَإننا نرى بعض التراخي في نفي الكذب فلا نجد ذلك الجزم بنفي الكذب كما في المثال الأول، فالأول أشد إثباتاً للنفي وأكثر قوة في الكلام[٧٠].

وقد لاحظنا في قوله ﷺ : (جاء رجلٌ خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليه فسلم ثم قال: بشر ... يحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغضي كتفه. ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة

([٦٢]) الراوي: عبدالله بن عمر – صحيح مسلم، مرجع سابق، الرقم: ٢٧٦٨، صحيح البخاري، مرجع سابق،ج ٨، ص٢٤، رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ٣٩ .

([٦٣]) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤، ص ١٣٠

([٦٤]) المرجع السابق، ج٤، ص ١٠١، رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيح البخاري ، مرجع سابق، ص٤١ .

([٦٥]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ١٣٤ .

([٦٦]) المرجع السابق، ص ١٣٥ .

([٦٧]) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص٤١ .

([٦٨]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص١٣٥.

([٦٩]) المرجع السابق، ج١، ص٨٧ .

([٧٠]) العامري، حميد أحمد عيسى(١٩٩٦م) التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص٨١ وما بعدها

ثديه يتزلزل. ثم وليَ فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو) [٧١]

فقوله (أنا لا أدري) أبلغ وأشد قوة وأكثر إقناعاً للسامع وأثبت في نفي الفعل عنه فكان تقديم المسند إليه على الخبر المنفي مؤدياً للمعنى المطلوب والذي لانجده إذا لم يتقدم المسند إليه.

د- تقديم المسند إليه النكرة :

إن الأصل تعريف المبتدأ و تنكير الخبر فإذا اجتمعت معرفة ونكرة فالمعرفة هي المبتدأ أو معرفتان فلك الخيار على الأرجح ويجوز الابتداء بالنكرة بشرط الفائدة[٧٢] وتحصل هذه الفائدة بالتخصيص فعند قولك: (رجل جاءني لارجلان) ينفي مجئ الرجلين وإثبات الواحد أو تخصص في قولنا: (رجل جاءني) أن الذي جاء رجل لا امرأة وهذه أيضاً فائدة فان لم ترد تسأل عن جنس الشيء وأردت أن تسأل عن عينه تقول: رجل طويل جاءني.

وقد لحظنا ورود تقديم النكرة في الحديث النبوي الشريف لتخصيص الجنس فقد ورد في الحديث النبوي الشريف على لسان النبي ﷺ : (بينما رجل راكب على بقرة التفتت اليه فقالت لم أخلق لهذا أنما خلقت للحراثة)[٧٣].

قُدِم (رجل) وهو اسم نكرة وقد يكون تقديمه لتعيين جنس الراكب رجل لا امرأة وكذلك لنفي كون الراكب رجلين فكلاهما صحيح. وكذلك لحظنا تقديم المسند إليه النكرة لغرض التحذير من الويل والهلاك من ذلك قوله ﷺ : (لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ... يأجوج ومأجوج) [٧٤] قدم النبي الكريم (ويل) وهي كلمة تدل على الهلاك وتبعث الرعب لدى السامع لغرض التحذير من الهلاك .

وكذلك لحظناه لغرض الاسترحام وإثارة العواطف كما في الحديث (أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل) فقد روي أنه قال ﷺ: (إن الملك أتى الأبرص في صورته وهيئه ... رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك)[٧٥] قدم المبتدأ النكرة (رجل) كي يثير عواطف الرجل .

ر- تقديم المسند إليه قبل وبعد أداة النفي ووقوع الفعل بعده :

يأتي تقديم المسند إليه على أداة النفي وتأخيره وفقا لمعنى الكلام واعتماداً على قصد المتكلم إن كان لتوكيد الفعل أو نفيه عنه .ولعبد القاهر مذهب في تقديم المسند إليه بعد النفي ويرى أن له فائدة معينة وهي تأكيد الفعل وإثباته ونفيه عن الفاعل المنسوب إليه الفعل يقول عبد القاهر:(قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي كقولك (ما أنا فعلت هذا) أي لم أقله مع أنه مقول فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فلا تقول ذلك إلا في شئ ثبت أنه مقول وأنت تريد نفي كونك قائلاً له)[٧٦]

وقد استشهدنا لهذا المعنى بقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه : (امحه فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه فمحاه رسول الله بيده)[٧٧] فتقديمه المسند إليه المسبوق بالنفي يدل على أن علياً لم يمحه بعد أن أمره النبي الكريم ليس عصياناً بل (علم بالقرينة أن الأمر ليس للإيجاب)[٧٨]

ز - تقديم الفاعل :

([٧١]) صحيح البخاري، ج٢، مرجع سابق، ص١٣٢ ، ١٣٤، رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ٤٥.

([٧٢]) الجرجاني، دلائل الاعجاز، مرجع سابق، ص١٤٢، الخطيب القز ويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص١٤٣.

([٧٣]) صحيح البخاري، مرجع سابق،ج٣، ص ١٣٦، رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ٤٦ .

([٧٤]) صحيح البخاري، مرجع سابق،ج٥، ص ٣٠٦ .

([٧٥]) المرجع السابق، ص ٧٠٩ .

([٧٦]) الجرجاني، دلائل الاعجاز، مرجع سابق، ص١٤٢.

([٧٧]) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٤١.

([٧٨]) القسطلاني، أحمد بن محمد(١٣٢٣هـ) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٦، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ص١٥٩.

الفاعل: ((هو ما كان المسند إليه فُعل على طريقة فعل أو شبهه وحكمة الرفع)[٧٩] واشترط ابن الحاجب (أن يتقدم الفعل أو شبهه أبداً)[٨٠] والأصل (تقديم الفاعل وتأخير المفعول)[٨١]. وقد اختلف النحاة في أمر جواز أو امتناع تقدم الفاعل على فعله فالفاعل عند البصريين لا يتقدم على الفعل وإن تقدم أعربوه مبتدأ[٨٢] أما مذهب الكوفيين فهو جواز تقديم الفاعل على الفعل[٨٣].

ويَنْصَبُ اهتمام أهل البلاغة بتقديم الفاعل على فعله بالدرجة الأولى لأنهم يبحثون عن معانٍ غير المعاني الأولية التي تدل عليها الألفاظ[٨٤].

إن تقديم الفعل والفاعل أو تأخيرهما يكون تبعا لترتيب معانيهما في النفس فالمعاني هي التي توجب التقديم والتأخير في الأفعال والأسماء وهذا الكلام لا يتوافق مع منع البصريين لتقديم الفاعل على الفعل أبداً[٨٥]. ويقدم الفاعل للأهمية والعناية بهِ وقد روي ذلك في قوله ﷺ :(العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله)[٨٦] فالعبد فاعل مقدم على الفعل وضع .وقد يقدم لغرض التعظيم وكان ذلك في قوله ﷺ : (إنما أنا قاسم وخازن والله يعطي) وفي رواية والله المعطي)[٨٧].فهو في الرواية الأولى تقدم الفعل على الفاعل وفي الرواية الثانية تقدم الفاعل على شبه الفعل (اسم الفاعل) .بقوله ﷺ :(الحياء لا يأتي إلا بخير) [٨٨] وقوله ﷺ:(الميت يُعذَّب ببكاء الحي عليه)[٨٩].إذ تقدم الفاعل (الحياء) على الفعل (يأتي) وتقدم نائب الفاعل (ميت) على الفعل المبني للمجهول (يُعذَب). وذلك يقودنا إلى أن التقديم أفاد عدة أغراض هي :

- التنبيه:

تنبيه المتلقي على أن هناك كلاما آخر سيقال، ذلك :(أنه لايؤتى بالاسم معرى عن العوامل إلا لحديث قد نوي إسناده إليه)[٩٠]

- التشويق :

تشويق المتلقي للكلام ودفعه للقبول به فقول النبي الكريم (الحياء) و(ميت) سيثير في نفس المتلقي الشوق إلى معرفة ما يمكن أن يقال عن هذين الأمرين. فإذا عرف ماكان يجهل (قبله قبول المهيأ له المطمئن إليه)[٩١].

توكيد نسبة الفعل إلى الفاعل أو نائب الفاعل من خلال ذكره قبل ذكرالأفعال مما يباعد المتلقي عن الشبهه ويمنعه من الإنكار

س- تقديم اسم كان :

إن الأصل تقديم اسم كان على خبرها ولهذا التقديم عدة أغراض [٩٢] هي:

- الاهتمام:

الحديث (... وكان أبو بكر رجلا بكاءً لايملك عينيه إذا قرأ القرآن ...)[٩٣] فبسبب الاهتمام قُدِم أبو بكر على الخبر.

- للتوكيد ودفع الشك :

---

(٧٩) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن(١٩٨٠م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ص ٤٦٢.

(٨٠) ابن الحاجب، عثمان(١٩٨٢م) الإيضاح في شرح المفصل، المحقق: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف ، العراق، ص١٥٧.

(٨١) السيوطي، الأشباه والنظائر، مرجع سابق، ص١٢.

(٨٢) سيبويه، الكتاب مرجع سابق، ص٣١.

(٨٣) ابن عقيل، شرح إبن عقيل مرجع سابق، ص٤٦٥.

(٨٤) مطلوب، بحوث بلاغية، مرجع سابق، ص٤٣.

(٨٥) المرجع السابق، ص٤٣.

(٨٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ١١٣ .

(٨٧) المرجع السابق، ص١٠٣، رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيح البخاري، مرجع سابق، ص٦٦ .

(٨٨) مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ص٦٤ .

(٨٩) صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ٥٥٠ .

(٩٠) الحديث النبوي الجاري مجرى المثل : ١٠١ .

(٩١) الرازي، فخر الدين محمد (١٣١٧هـ) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ، ص١٥٦.

(٩٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩٣) رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيح البخاري ، مرجع سابق، ص٦٨-٦٩ .

والشاهد عن ابن عمر (أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا إن الناس صنعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال يمنعني أن الله حرم على المسلم دم أخيه . فقالا : ألم يقل الله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[٩٤] فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله)[٩٥].

- للتخصيص:

نحو قول ابن عباس :(قدم عُيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أوشبابا...)[٩٦] يُظهر لنا النص أن تقديم اسم كان (القراء) يوحي ويدل على التخصيص .

- للتحقير وتقليل الشأن:

كما في قول عبد الله:(كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن)[٩٧] اسم كان (ناس) يوحي بالتحقير والتقليل من شأن الذين عبدوا غير الله.

- التعظيم :

جاء في حديث جابر :(وأتاني ابن عمك يعرض بالحسن بن محمد بن الحنفية، قال كيف الغسل من الجنابة ؟ فقلت كان النبي يأخذ ثلاثة أكف ويقبضها على رأسه ثم يقبض على سائر ميسره فقال لي الحسن إني رجل كثير الشعر فقلت كان النبي أكثر منك شعراً)[٩٨] فتقديم لفظة النبي هو لتعظيمه وللاقتداء به.

تقديم اسم إن على خبرها:

الأغراض[٩٩] التي من أجلها يتقدم اسم إن على خبرها وهي:

١- التوكيد:

نحو قوله ﷺ: (إن الحرب سجال ودول فكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة)[١٠٠]

٢- المدح: نحو قوله ﷺ لحفصة رضي الله عنها: (إن عبد الله رجل صالح) [١٠١] ويمتزج المديح بالتشويق في هذا الحديث .

٣- التعظيم والتنويه بمكانة الشخص المتحدث عنه: ومنه قوله ﷺ : (إن الله تجاوز عن أمتي ماحدثت به نفسها مالم تعمل أو تتكلم)[١٠٢].

٤- لتعجيل المساءة وللتنبيه والنصح من ذلك قوله ﷺ: (إن الشيطان يبلغ من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئا)[١٠٣].

٥- لتعجيل المسرة: منه قوله ﷺ: (إن خياركم أحسنكم قضاءً)[١٠٤] فقوله ﷺ فيه دلالة على تعجيل المسرة بمدحه لهم بهذا الشكل .

الخاتمة:

ظهر من خلال الأمثلة السابقة أن الحديث الشريف استفاد كثيراً من عناصر السياق من أجل توجيه دلالة الأسلوب الإنشائي، ومن خلال دلالة التقديم والتأخير في الجملة ، حيث برز فيه دور السياق في توجيه المعنى،و لقد وظف النبي ﷺ كثيراً من وسائل كشف المعنى، التي تقرب فهم الحديث من المتلقين، وقد كان من أهمها استعماله عناصر السياق بقسميه المشهورين في النظرية السياقية، وهما :السياق اللغوي، والسياق المقامي؛ إذ بين أثرهما الواضح في شرح الأحاديث، وكذا الترجيح بين الدلالات من خلالهما، ومراعاة مقصد المتكلم،

---

(٩٤) صحيح البخاري، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(٩٥) المرجع السابق، ص ٣٢.

(٩٦) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٩٧) المرجع السابق نفسه .

(٩٨) المرجع السابق، ص ٧٣ .

(٩٩) رملة رشيد، التقديم والتأخير في صحيح البخاري، مرجع سابق، ص٦٩-٧١ .

(١٠٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، ص٢٣ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص٣١ .

(١٠٢) المرجع السابق، ص٥٩.

(١٠٣) المرجع السابق، ص٦٤ .

(١٠٤) المرجع السابق، ص ١٣٠ .

وتوجيه الكلام من خلاله، وعلاقة المتكلم بالمخاطبين، وكذا عناصر سياق الحال، وغير ذلك من الأمور التي تندرج ضمن حدود النظرية السياقية.

النتائج:

الحديث الشريف قادر على حمل المعني:

١. بلغ الحديث النبوي في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير.
٢. لم يكتفِ الحديث النبوي في وضع اللفظة بمراعات السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة.
٣. لا يكتفي الشارح بتوجيه الحديث من خلال قرائن سياق الحال، بل يستعمل السياق اللغوي من خلال ذكر الروايات الأخرى للحديث.
٤. كانت لغة الحديث الشريف ، تقديم ما حقه التقديم ، وتأخير ما ليس في المقام الأول من الأهمية وهي سِمة نستطيع أن نميز بها الحديث الشريف الصحيح بسهولة ووضوح ، عما يمكن أن يُدس فيه من الأحاديث المكذوبة الموضوعة، لأن واضع الحديث يستغرق جهده في تأليف عبارة يجتهد أن تكون صحيحة من اللحن غالباً، على حين تتداعى الأفكار والمواقف والأحداث في ذهن المتكلم الصادق

(الرسول صل الله عليه وسلم) فترتب تلقائياً حسب أهميتها وارتباطها بغيرها من القضايا التي يشملها سياق الحديث.

التوصيات:

١. دراسة نصوص الأحاديث النبوية لغوياً .
٢. الوقوف بتأني أمام النص الشريف واستخراج الصور الكامنة فيه.
٣. وربط نص الحديث بالمقام وقرائن الأحوال.
٤. دراسة النص النبوي وفهمه لاستخراج المسائل الفقهية والأحكام الشرعية.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١. الجرجاني، أبو بكر (٢٠٠٤م) دلائل الإعجاز، قرأ ه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، ط٥ ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢. الرازي، فخر الدين(١٩٨٥م) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق ودراسة : بكري الشيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان.
٣. تمام حسان(١٩٩٥م) اللغة العربية معناه ومبناه، مكتبة الثقافة، الدر البيضاء.
٤. سيبويه(١٩٩٦م) الكتاب، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون ، ط٦، ج١، عالم الكتب، بيروت، ص٣٤.
٥. الجواري، أحمد عبد الستار(د.ت) نحو المعاني، مصطفى قانصوه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٦. العوادي، مشكور(٢٠٠٣م) البحث الدلالي في تفسير الميزان، مؤسسة البلاغ، بيروت.
٧. ابن فارس، أحمد (١٩٩٣م) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، حققه وضبط نصوصه: مكتبة المعارف، بيروت.
٨. الخطيب القزويني(د.ت) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق أساتذة الازهر، ج١، د.ن.
٩. أنيس، إبراهيم(١٩٧٥م) من أسرار اللغة، ط٥، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة .
١٠. نعمة رحيم العزاوي، الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، مجلة المورد، مج ١٠.
١١. بيير جيرو(١٩٨٥م) الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة، تحقيق: منذر عياشي، د.ن.
١٢. ابن الأثير، ضياء الدين(د.ت) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : أحمد الحوفي- بدوي طبانة، ج٢، د.ن.
١٣. الشيباني، محمد بن الحسني(١٩٣٩م) الجامع الكبير، حيدر آباد.

١٤. الزركشي، بدر الدين(د.ت) البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ج٣، دار التراث.

١٥. مطلوب، أحمد(١٩٨٧م) بحوث بلاغية ، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع.

١٦. كمال عز الدين (١٩٨٤م) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ط١، أقرا.

١٧. قتيبي، حامد صادق (١٩٨٤م) الشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، ط١، مكتبة المنار، الأردن ، الزرقاء .

١٨. السامرائي، فاضل صالح(د.ت) التعبير القرآني، دار الكتب للطباعة والنشر.

١٩. فندريس، جوزيف(١٩٥٠م) اللغة، تعريب :عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية..

٢٠. جميلي، عدنان جاسم(٢٠٠٩م) ، الآيات المتعلقة بالرسول (ﷺ) مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق.

٢١. السامرائي، فاضل صالح(د.ت) الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، منشورات المجمع العلمي العراقي.

٢٢. محمد عبد المطلب(١٩٨٤م) البلاغة والأسلوبية ، الهيأة المصرية العامة للكتاب.

٢٣. السيوطي، جلال الدين(١٣٥٩هـ) الأشباه والنظائر في النحو،ج١، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد.

٢٤. طحان، ريمون(١٩٧٢م) الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني.

٢٥. أحمد مطلوب (١٩٦٧م) القزويني وشروح التلخيص، ط١، مكتبة النهضة ، بغداد.

٢٦. أحمد مطلوب(١٩٨٠م) أساليب بلاغية، دار الغريب للطباعة والنشر.

٢٧. المبرد، أبو العباس(د.ت) المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ج٣، عالم الكتب، بيروت.

٢٨. ابن جني، الخصائص(د.ت) حققه: محمد علي النجار، ط٢، ج٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢٩. السكاكي(١٩٨٧م) مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

٣٠. محمد أبو موسى(١٩٥٢م) خصائص التراكيب، ط٢، دار التضامن ، القاهرة .

٣١. سبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي(٢٠٠١م) عروس الأفراح وسر تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية.

٣٢. مسلم بن الحجاج(١٩٩٨م) صحيح مسلم، ط١، حديث رقم ٦٢٦، دار الافكار الدولية، الرياض.

٣٣. رملة رشيد إسماعيل(٢٠٠٣م) التقديم والتأخير في صحيح البخاري (دراسة بلاغية) ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات.

٣٤. العينى، أبو محمد محمود(د.ت) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٥. البخاري، محمد بن إسماعيل (د.ت) صحيح البخاري، ج٤، د.ن، .

٣٦. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن(١٩٨٠م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المحقق :محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، .

٣٧. العامري، حميد أحمد عيسى(١٩٩٦م) التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

٣٨. القسطلاني، أحمد بن محمد(١٣٢٣هـ) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٦، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

٣٩. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن(١٩٨٠م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المحقق :محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة.

٤٠. ابن الحاجب، عثمان(١٩٨٢م) الإيضاح في شرح المفصل، المحقق: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف، العراق.

٤١. الرازي، فخر الدين محمد (١٣١٧هـ) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة .